أدوات التحليل النقدي للخطاب
محاولة لاستكشاف إستراتيجيات السلطة في الخطاب

م.م. عبد الله القايد | كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، قطر
Aa1200554@student.qu.edu.qa

الملخص

التحليل النقدي للخطاب أحد الاتجاهات الحديثة؛ تعتبر اللغة أحد أشكال الممارسات الاجتماعية التي تخلق السلطة الاجتماعية والسياسية؛ فهي الوسيط الفعلي في ترسيخ السيطرة والهيمنة والتحكم في قناعات المتلقين واتجاهاتهم، ومن ثمَّ فاللغة والسلطة حسب هذا الاتجاه مرتبطان مع بعضهما البعض ارتباطاً وثيقاً. لذلك يدرس التحليل النقدي للخطاب الاستعمال اللغوي في الخطاب، وما يتوارى خلف الاختيارات اللغوية من أيديولوجيات ومضمرات تخدم مصالح السلطة وأهدافها في السيطرة على المتلقين وآرائهم وتوجيه سلوكياتهم، ومن هنا انطلقت دراستنا في الكشف عن حيل السلطة ورصد أبرز الإستراتيجيات المتبعة في خطاباتها؛ ساعين بذلك إلى توعية المتلقين وتبصرتهم.

الكلمات المفتاحية: (تحليل، خطاب، سلطة، استكشاف)

Critical analysis of discourse is one of the modern trends: Language is considered one of the forms of social practices that create social and political power: it is the actual mediator in establishing control, domination, and control over the convictions of the recipients and their attitudes, and then

language and authority according to this trend are closely linked with each other. Therefore, the critical analysis of the discourse studies the linguistic use in the discourse and the ideologies and ambiguities that hide behind linguistic confusions that serve the interests of the authority and its objectives in controlling the recipients and their opinions and directing their behaviors. Hence, our study was launched to uncover the power tricks and monitor the most prominent strategies used in its speeches ; We seek to educate the recipients and enlighten them

المقدمة

انصب اهتمام الباحثين في وقتنا الراهن على دراسة النصوص وتحليل الخطابات بأنواعها؛ نظراً إلى الأهمية التي يحظى بها الخطاب في التأثير على حياة الفرد والمجتمع، وتوجيههما نحو أهداف محددة تصب في صالح مُنْشِئ الخطاب؛ فالخطاب كما هو معلوم يندرج تحت سياقات اجتماعية مختلفة، ويُعد ممارسةً تؤثر في الواقع، بل يُرَام من ورائه إلى التأثير في الواقع، ولذلك أصبح التحليل النقدي للخطاب (Critical Discourse Analysis) فرعاً معرفياً منبثقاً عن تحليل الخطاب، يهتم بدراسة اللغة بوصفها ممارسة اجتماعية مرتبطة بالسلطة والإيديولوجيا، تتوارى خلف الاختيارات اللغوية بهدف السيطرة على آراء المتلقين وتوجيه سلوكياتهم. ويسعى التحليل النقدي للخطاب إلى الكشف عن تلك الإيديولوجيات المضمرة، وتعريتها أمام المُخاطَب؛ فيؤدي بذلك التحليل النقدي للخطاب دوراً تحريرياً تنويريا؛ لأنه يحرر العقول ويبصِّرُها بأشكال السلطة والهيمنة.

ولم نرَ حتى اللحظة من حاول أن يجمع الإستراتيجيات التي تتبعها السلطة في خطاباتها في مادة بحثية مستقلة؛ إذ يغلب على الظن من خلال البحث والنظر إلى الدراسات المنشورة، أن أغلبها تناولت تحليل خطابات محددة، واستخرجت الإستراتيجيات المضمرة فيها؛ مما يجعل ذلك مُسوَّغاً لنا في كتابة هذه الورقة البحثية التي نسعى من خلالها إلى إثراء التحليل النقدي للخطاب بجمع أبرز الأدوات

الإستراتيجية التي تَتَّبِعها السلطة في خطاباتها، مما يعني أننا نسعى إلى تبصرة المتلقين، وخدمة الباحثين من بعدنا وإمدادهم بأدوات معينة في تحليل الخطابات.

ولأن الخطاب يمثل سلطة تَرْمي إلى التأثير في الواقع؛ فإن ذلك يولد لدينا إشكالات عدة؛ نصوغها في الأسئلة الآتية:

1. ما الإستراتيجيات والمسالك التي تستخدمها السلطة للتأثير في الواقع؟
2. ما الذي يجعل من الخطاب مؤثراً في الواقع؟
3. ما الإيديولوجيات التي تقوم عليها خطابات السلطة؟
4. كيف يتم إضفاء الشرعية على الخطابات؟
5. ثم كيف يتصدى الخطاب الناقد لكل تلك الإستراتيجيات؟

وعليه، سنحاول في هذه الورقة البحثية أن نرصد بعض الأدوات الإستراتيجية التي تستخدمها السلطة في خطاباتها لتمرير إيديولوجياتها ورسائلها للمخاطَب، ونتعرف على سماتها اللغوية.

ولما كانت خطاباتُ السلطة خطابات أُعِدَّت بعناية فائقة تكتبها مؤسسات تنضوي تحتها عشرات الخبرات من كافة التخصصات، فإن أي محاولة لحصر هذه الإستراتيجيات مجتمعة، يبقى أمرا صعبا؛ فالسلطة ما إن تنكشف إحدى حيلها وإستراتيجياتها، حتى تلجأ إلى إستراتيجيات بديلة، لذلك سنورد بعض ما وقفنا عليه من إستراتيجيات استطاع النقاد والمحللون اكتشافها والوقوف عليها.

وتنطلق فرضيتنا في هذا البحث من أن الخطاب هو من يصنع الواقع والوقائع، وأنه لا يوجد خطاب محايد؛ إذ الخطاب أيديولوجي بطبيعته تحركه السُّلطات التي تسعى إلى السيطرة على المتلقين وإخضاعهم

ونقصد بالأدوات الإستراتيجية؛ الأدوات اللغوية المتصلة بالألفاظ والعبارات والتراكيب. وطريقتنا، في تعريف هذه الأدوات اللغوية التي جمعناها، أن نُعرّفها ابتداءً تعريفاً نظرياً بعبارة موجزة تؤدي الغرض وتبلغ المقصد، ثم نشفعه بمثال يكون بمنزلة

التعريف بالمثال، وبهذا يكون التعريف تعريفاً نظرياً، وتعريفاً بالمثال، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف والتحليل؛ إذ ما من دراسة إلا وتقوم في البدء على الوصف، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، ونشير أيضاً إلى أننا لجأنا إلى المنهج المقارن في مواطن يسيرة مما يخدم الإطار النظري الذي تبنيناه.

الأدوات الإستراتيجية في التحليل النقدي للخطاب وسماتها اللغوية

الخطابات الإعلامية والسياسية لا تنطلق من كونها وظيفة تواصلية يريد المرسل من خلالها إيصال معلومة معينة أو تجربة إلى المتلقي، بقدر ما هي وظيفة تأثيرية ترمي إلى توجيه المتلقي، وتحديد موقفه، فغايتها الإقناع والتأثير، والتستر والتضليل في كثير من الأحيان، فيمارس على المتلقي نوعاً من السلطة والهيمنة، وهذا ما يجعل علاقة الخطاب بالسياق علاقة وظيفية دقيقة. لذلك نجد "أن الصحفيين سريعاً ما يتعلمون القواعد التي تعمل بها الصحيفة المعينة التي يكتبون لها، وطريقتها في التعامل مع موضوعات بعينها، ويكتشفون سريعاً أي المقالات التي تُقبل منهم دون تعديل يذكر، وتلك التي ترفض أو تدخل عليها تعديلات تبعدها تماما عن شكلها الأصلي" (الزليطي،2014م، ص11).

ولذلك يؤكد التحليل النقدي للخطاب أهمية الكشف عن التلاعب والحيل والإيديولوجيات المتضمنة في الخطابات سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة، ومواضع السلطة والهيمنة فيها، وكيف يتشكل الخطاب من خلال مظاهر الاستعمال اللغوي ويعكس التوجهات السياسية والإيديولوجية، فـ"كثيراً ما نجد أنفسنا أمام خطابين مختلفين، يتحدثان عن الموضوع نفسه، لكن بطريقتين مختلفتين من خلال اختيارات معجمية وتركيبية في كل منهما تقدم عن الموضوع تصورين مختلفين، لكل منهما وجهة نظر خاصة عن الموضوع، يريد صاحب الخطاب فرضها وتوجيه المتلقي إلى التسليم بها" (الزليطي،2014م، ص 13). ويتضح ذلك من خلال مستويات لغوية متعددة. وسنتناول ثلاثة مستويات وهي المعجمي، والتركيبي، والبلاغي، نعرضها على النحو الآتي:

1. على المستوى المعجمي:

إن المفردات المستخدمة في الخطاب إما أن تكون واضحة وصريحة، وإما أن

تحمل دلالات مبطنة ترمي إلى توجيه ذهن المتلقي للتفكير بطريقة معينة تخدم مصالح السلطة وأهدافها، وفي هذا السياق يقول نورمان فيركلاف (Norman Fairclough): «وفي بعض الحالات تكمن الأهمية الإيديولوجية للنص في مفرداته ذاتها» (فيركلاف،2016،ص156)، فقد تحمل هذه المفردات إيحاءات إيجابية متعاطفة كعبارات: جماعة، ثلة، وما شابه، أو عبارات عدائية مثل: عصابة، شرذمة، اضطهاد، وما شابه (الزليطي،2014م، ينظر: ص14) ، وهذا ما يطلق عليه النقاد التلاعب بالألفاظ؛ وهي فيما يرى فان ايميرين ((van Eemeren تتلخص في خداع المخاطبين عن عمد وإقناعهم بشيء ما، من خلال استخدام الطرق والوسائل المبطنة، تكون في جوهرها لصالح المتكلم، لكنها لا تنسجم مع المقاييس النقدية للعقلانية بشكل عام (فيركلاو، فيركلاو،2016م،ص212).

ويعتبر التلاعب في الألفاظ من أبرز الحيل التي تستخدمها السلطة بهدف إعادة إخراج الحدث على خلاف الواقع؛ وعرَّفها الناقد بورهمس فريدريك سكينر (BurrhusFrederic Skinner) بأنها الطريقة التي يتم بها "إعادة توصيف الواقع بشكل بلاغي" (فيركلاو، فيركلاو،2016م،ص207)؛ أي بشكل مؤثر ومقنع من خلال استعمالات لغوية متعددة، وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه الأنماط والأشكال:

1 - 1. استخدام الألفاظ والعبارات المقنعة (المغالطات المادية):

وهي تعبيرات مقنعة يحاول من خلالها المرسل تضليل المتلقي بإخفاء الحقيقة وتغيير صورة الواقع في ذهنه، "فطرد الملايين من مزارعهم، وإرسالهم هائمين في الطرقات، وليس معهم إلا ما استطاعوا حمله، يسمى في اللغة السياسية نقل السكان، أو تصحيح الأوضاع" (جواد،1998م،ص51) ، خلافاً لما يحصل على أرض الواقع، ومن ذلك أيضاً ما يتداول في بعض الخطابات السياسية من تسمية الأشياء بغير مسماها؛ كأن يقال: التطهير العرقي، بدلاً من الإبادة الجماعية، وتحرير بلد ما أو استعمارِها، بدلاً من غزوها واحتلالها، والضربات الاستباقية، والعمليات الحمائية، بدلاً من قصفها وقتل المدنيين (الزليطي،2014م،ينظر : ص11). وهذا ما عبر عنه بعض النقاد بالمغالطة؛ وهي

تعبيرات مقنعة تهدف إلى تحريف الواقع وتشويهه، أو تسمية الأشياء بغير مسمياتها (إسم اعيلي،أسيداه،2007م،ينظر:ص140) ، وقد ينجح هذا الأسلوب اللغوي في أحيان كثيرة؛ لأن التفطن إليه يحتاج إلى إعمال الذهن، وفهم وتأويل، وهذا ما تفتقر إليه فئة كبيرة من الجماهير (يونس، 2012م،ص 76).

ويمكن أن نلمس ذلك في تقريع القرآن الكريم للخطاب الجاهلي وممارسته لمثل هذه الإستراتيجية، في قوله عز وجل: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: 23]. فقد دلت الآية الكريمة على أن هذه الإستراتيجية لها جذور تاريخية منذ القدم؛ فالسلطة كانت تتوسل وتتذرع في السيطرة على المخاطَب؛ بتسمية الأشياء بغير مسماها؛ إذ تسميتها آلهة لا يعطيها الشرعية لتكون كذلك.

1 - 2. استخدام الألفاظ والعبارات العقلانية (مغالطة منطقية):

ومن أشكال التلاعب بالألفاظ ما عبر عنه كل من نورمان فيركلاو (Norman Verklau)، وإزبيرلا فيركلاو (Isabella Verclao)، بـــ: (العقلنة)؛ التي تعتمد على أسباب زائفة وغير جدية؛ إذ يحاول المرسل من خلالها أن يكون مقنعاً من الناحية العقلانية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: تسويغ الحرب على العراق سنة 2003م، بعبارات من قبيل أنه يمتلك أسلحة الدمار الشامل، وأنه يشكل تهديداً للعالم من خلال ارتباطه بالإرهاب الدولي، بالإضافة إلى رغبة مزعومة في إرساء الديمقراطية والحرية للشعب العراقي وتحريره من النظام الديكتاتوري (فيركلاو، فيركلاو،2016م، ينظر: ص213ـــــ 214).

1 - 3. استخدام الألفاظ والعبارات الملزمة:

ومن حيل السلطة الاستعانة بالألفاظ الملزمة؛ وهي معانٍ تفهم من الخطاب ولو لم تكن صريحة لكنها ملزمة، لأن الكلام يقتضيها من حيث الدلالة اللغوية، يقول فيركلاف: "المستلزمات المنطقية معان مستترة يمكن استنتاجها منطقياً من سمات لغوية" (فيركلاف،2009م، ص 127)، فعلى سبيل المثال قولنا "أنا متزوج منذ عشرين

سـنة" يلـزم عنه أنني ما زلت متزوجـاً، وقولنا "هو فقير، لكنه شريف" فباسـتخدامه لكن التي تفيد الاستدراك، يلزم عنه أن لا يكون الفقراء شرفاء (فيركلاف،2009م،ص 127).

1 - 4. استخدام الألفاظ والعبارات المنحازة:

يظهـر التحيز اللغوي في الخطـاب الإعلامي فيما يعرف بـشـحن المفردات "وذلك مـن خلال نسـبة الكلمات المسـتخدمة في التصريحـات إلى قائليها، [...]، فقد تكشـف مـدى تحيز رجل الإعلام إلى شـخص، أو ضد شـخص مـا، فالفعل (قـال) في مدلوله يختلف عن الفعل (زعم)" (يونس،2012م،ص 82 ـــــ83).

ومـن المصطلحات الدالة على الانحياز اسـتخدام الألقاب والصفـات، التي تحقق معنى وهدفا معيّنا: مثل (انتحاري/ استشهادي)، (مجاهدون/ إرهابيون/ مسلمون)، (مقاومـون/ متمـردون) ونحوها من المصطلحات التي تسـتخدمها وسـائل الإعلام بهدف إحداث تأثير معين في الحدث على نحو يخدم الرأي الذي تتبناه (يعقوب،2014م، ينظر:ص478) و (يعقوب،2014م، ينظر: ص 473ـــ 485). وعلى هذا النحو تقابلها أيضـاً المصطلحـات المشـحونة بالعاطفة للدفاع عـن موقف محدد، بالرغـم من وجود موقـف مناقض له كاسـتخدام عبارة إرهـابي مقابل مقاتل من أجـل الحرية (فيركلاو، فيركلاو،2016م، ينظر: ص 208).

1 - 5. استخدام المُسَلَّمات:

ومـن الحيـل التي تتبعها السـلطة في خطاباتها المسـلمات؛ وهي إخراج مـا لا يقر به المخاطَب مخرج المسلم به والمتفق عليه أو على صحته، وذلك من خلال تضمين عبارات موضوعهـا: الموجـود، وحالته، وما هـو ممكن أو ضروري، حيـث يميز فيركلاف بين ثلاثة أنماط أساسـية للمسلمات، وهي: مسلمات وجودية؛ وموضوعها ما هو موجود، ومسـلمات خبرية؛ وموضوعها ما الحال عليه، أو ما يمكن أن يكون. ومسلمات قيمية، موضوعهـا الجيد أو المطلوب (فيركلاف،2009م، ينظـر: ص120)؛ أي تدل على قيمة معينة أو فضيلة.

ويرى فيركلاف أن المسلمات الوجودية تتمثل في المعرف بـ "أل" وأسماء الإشارة (هذا، هذه، ذاك، تلك،...) أو في الأفعال الوقائعية، كعبارة: "تبين لي، نسيت، تذكرت،..." ثم يمثل لها فيركلاف بعدة أمثلة اخترنا منها المثال الآتي:

"لكن هي العولمة أيضاً سيرورة متطلبة، وغالباً ما تكون مؤلمة"

فقد تضمنت هذه العبارة التسليم بوجود عولمة (وهي مسلمة وجودية) أُشير إليها بالضمير "هي"، أما المسلمات الخبرية، فتمثلت في العبارة بأن العولمة سيرورة، والتصريح بنوعية السيرورة كونها متطلبة، أما المسلمات القيمية فيمثل لها فيركلاف بعبارة "يهدد" لكي يكون الانزعاج وغياب المساواة والاستقطاب أموراً غير مرغوب فيها، فيفسره المتلقي على هذا النحو بالاستناد إلى المنظومة القيمية المتستر في النص (فيركلاف،2009م، ينظر: ص 120 – 125).

وتعتبر المعاني المسلم بها ذات أهمية إيديولوجية تدعم السلطة وتقويها. وقد تصاغ في عبارات أو جمل تقريرية. تضفي عليها مسحة متسلطة، ومن ذلك ما نسمعه في الخطابات الإعلامية من قبيل: (كلنا يعلم ذلك)، (لا يخفى عليكم أن...)، (من المعلوم/ من البديهيات أن...)، ونحوها من العبارات المشابهة (الزليطي،2014م،ينظر : ص 19)؛ "فهذه العبارات وما شاكلها تحمل في الواقع جانباً متسلطاً خفياً، يوحي برغبة لدى مستعملها في الهيمنة على ساحة الخطاب، من خلال دعوة ضمنية للجمهور إلى التسليم له بصحة ما يقول، من باب كونه عالماً بأمور يفترض أن يعلمها الجميع" (الزليطي،2014م،ينظر : ص18)، وأن لا تخفى على المتلقي، وأن هذا الأمر بديهي؛ وهو في حقيقة الأمر ليس كذلك.

1 - 6. استخدام الألفاظ التي توحي بالإدانة:

وتكون باستخدام المخاطِب ألفاظاً تُفسَّر بالإدانة؛ كأن يستخدم عبارة "أطالب" أو "نطالب" بدلاً من نسأل أو نقترح، مما يجعل المخاطب في موقع الإدانة، ومن الأمثلة على ذلك تسمية خطاب الدول الأربع المقاطعة لدولة قطر بـ "المطالب الثلاثة عشرة"، في الأزمة الخليجية سنة 2017م، فاستخدام عبارة المطالب الغاية منها وضع

دولـة قطر في موقع الإدانـة، والدليل على ذلك تراجع أحد وزراء خارجية تلك الدول عن مسمى المطالب، إلى مسمى شكاوى " بعد ثلاثة أسابيع الجبير لايعلم أهي مطالب أم شكاوى" (جريدة الشرق، 2017م، 27).

1 - 7. استخدام الألفاظ التي تدل على التعميم:

مـن خلال اسـتخدام الألفـاظ العائمة، وهي ألفاظ عادة ما تسـتخدم لكسـب ثقة المتلقـي وذلك من قبيل (قال العلماء)، (يقول الخبراء)، (المشـهد الذي أبكى الملايين)، (أثبتت الدراسات).. وغيرها من العبارات التي تمر علينا كل يوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي. ومن أقرب الأمثلة في واقعنا السياسي ما عنونته جريدة الأهرام المصرية في ثـورة 25 ينايـر "الملايين يخرجون تأييداً لمبـارك"، "مظاهرة مليونيـة في حب الرئيس" "الملايـين يخرجـون تأييداً لمبـارك مظاهرة مليونيـة في حب الرئيس" (جريـدة الأهرام المصريـة،2011م، ص1). في حـين أن الواقع يثبت أن العدد المؤيـد للرئيس مبارك كان أقل من ذلك بكثير.

1 - 8. استخدام الألفاظ والمصطلحات الهلامية:

ونعني بذلك إطلاق مصطلحات توحي بأنها ذات دلالة محددة، ومصطلح عليها، مثـل عبـارة الإرهـاب؛ لكنهـا في حقيقتهـا بلا حـد؛ إذ الحد عنـد المناطقة هـو الجامع المانـع؛ أي الجامع لأجـزاء المحدود، والمانع من دخول غيره فيـه، فهي إذن، عبارة عن مصطلحـات لا ضابـط لهـا، ولا يخرج منها المتلقـي بطائل، وهذا يتعـارض مع أخص خصائص المصطلح، ونعني بذلك الضبط.

والغاية منها إسباغ الجدية على النصوص، وإظهار القصد، ووجود أغراض محددة الأهـداف، مما يعطـي لهذه النصوص وجاهـة، والأمر ليس كذلك؛ إنـما هو اتكاء على مفاهيـم وعبـارات ذات دلالات فضفاضـة، تتمثل في عبارات مـن قبيل "الحرب على الإرهاب"، "السلام العالمي"، "الكيانات الإرهابية"، وما شابه، فهي عبارات إنشائية مـن الممكـن أن تفسر وتؤول إلى تفسـيرات وتأويلات متعددة ومختلفـة، وعلى ضوئها يُدرج ما يحلو للسلطة إدراجه تحت إطار هذه المفاهيم الهلامية والعبارات الفضفاضة،

كالمؤسسات الخيرية، والمنظمات الحقوقية، والأحزاب السياسية، وغير ذلك، ومن أقرب الأمثلة على ذلك في واقعنا السياسي إدراج الدول الأربع المقاطعة لدولة قطر لمجموعة من المؤسسات الإنسانية والخيرية والمنظمات الحقوقية تحت مسمى الإرهاب وتسميتها بالكيانات الإرهابية (البيان الرباعي المشترك بشأن قوائم الإرهاب الموجه لدولة قطر،2018م).

1 - 9. استخدام عبارات التهويل:

كثيراً ما تلجأ خطابات السلطة إلى استخدام التهويل اللفظي وذلك "لتأكيد خطورة الوضع وتهويله" (دايك،2014م،ص 472) ، مثل عبارة "الحرب على الإرهاب" التي تلاعبت بها الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على أفغانستان والعراق بهدف زرع المخاوف لدى المتلقين وإقناعهم بأن الحرب هي بهدف حمايتهم (دايك،2014م، ينظر: ص 452ـــ 454)، وعلى هذه الخطى أيضاً سارت الدول الأربع المقاطعة لدولة قطر سنة 2017م، بالتلاعب في خطاباتها وتضمينها عبارات تهويليه لا أساس لها من الصحة، من قبيل "دسائس، تخابر، تآمر،..." بهدف التأثير على الشعوب وإيجاد مبررات للحصار ، وزعمها بأن ما تقوم به هو سعي لـــ "مكافحة دعم الإرهاب".

ومن ذلك أيضاً إطلاق الألقاب والأوصاف التهويلية على الخصم لكي تُضفى الشرعية على قتله أو التخلص منه، أو التحريض عليه، وهذا ما تفعله السلطة الدينية على وجه الخصوص عند إطلاقها عبارات من قبيل: "الطواغيت، مجوس هذه الأمة، أذناب إيران،..." فيكون ذلك مشرعاً للحرب، سواء مع الطائفة أو من يتعامل معها.

ومنها أيضاً إطلاق الألقاب والأوصاف على السلطة نفسها، لتشرع فيه عنف ما تقوم به من أعمال مثل: "حماة التوحيد، أسود السنة، الدول الداعمة لمكافحة الإرهاب،..." وغيرها من العبارات المتداولة في الساحة السياسية والإعلامية في وقتنا الراهن.

1 - 10. استخدام العبارات التلطفية أو التعريضية (euphemisms):

وقد تلجأ السلطة إلى استخدام عبارات تلطيفية في الخطاب (فيركلاف، ،ينظر: 156ـــ 162)؛ تقر فيه بأصل الموضوع لكنها تسعى إلى التخفيف من توحشه، وإخفاء

حقائـق مؤلمـة وراء ذلـك؛ كأن تسـتبدل واقـع اسـتهداف المدنيـين وقتلهـم، وقصف المستشـفيات، وتدمير المنشـآت في الغـارات الجوية أو المدفعية، بعبارة: "أسـفرت عن أضرار جانبية" (الزليطي،2014م،ينظر : ص 14)، أو عبارة «نكسة» بدلاً من «الهزيمة» في الحرب، كما عبر عن ذلك جمال عبد الناصر في خطاب التنحي (عبد اللطيف، ينظر: ص 151)،ونحوها من العبارات التي يراد منها تخفيف الواقعة وتلطيف العبارة.

وقد تلجأ السلطة إلى استخدام العبارات التهويلية بغرض إبراز العبارات التلطيفية، كـما حـدث في خطـاب التنحـي لجمال عبـد الناصر عندمـا اسـتعمل عبـارة «العدوان الإسرائيلي» في وصف وقائع الحرب وآثارها انسجاماً مع «استراتيجية التهوين اللفظي من الهزيمة والتهويل اللفظي لأفعال الخصم» وكان الغرض من ذلك استمالة الجمهور وتلطيفاً لواقع الهزيمة (عبد اللطيف، ينظر: ص 154).

2. على مستوى التراكيب:

قد تعمد السلطة أحياناً إلى اختيار تراكيب تشكل النص بطريقة معينة، مثل: التقديم والتأخير، والحذف والإضمار، أو اختيار صيغ نحوية محددة كالمبني للمجهول أو غيره، فتقوم السلطة باختيار ما يتناسب مع تحقيق أهدافها؛ إذ إن كل نمط تركيبي يرتبط بقيم إيديولوجيـة تعكس تصورات إيديولوجية معينة هدفها تصوير واقع معين للأحداث، وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه الأنماط والأشكال:

2 - 1. على مستوى الجملة:

تتعدد أنواع صياغة الجمل في الخطابات الإعلامية والسياسـية، يسـتطيع المخاطِب من خلالها أن يختار ما يحقق أهدافه؛ كأن يختار الجملة الاستفهامية، أو الجملة الاسمية، أو جملة الأمر، أو الجملة الخبرية أو الإنشائية، ونحو ذلك، وفيما يلي إشارة إلى ذلك:

2 - 1 - 1. اختيار الجملة الاستفهامية:

قد يعمد المخاطِب إلى استخدام الجملة الاستفهامية التي عادة ما تأتي بغرض انتظار اسـتجابة من المتلقي (الزليطي،2014م،ينظـر: ص18)، فيصاغ عنوان الخطاب في هيئة

سؤال أو يختم خطابه بسؤال ينتظر إجابة من القارئ قد أعدها المرسل مسبقاً من خلال الجمل التقريرية التي تناولت الخطاب. وهي بمثابة "أليس كذلك" التي يقولها المتكلم ليأخذ إقراراً وتسليما من المستمع أو المخاطب بما قال، وهو يعلم مسبقاً بأنه سيقول بلى. فيكون السائل متحكماً في الموقف.

2 - 1 - 2. اختيار الجملة الاسمية:

قد يلجأ المخاطب إلى اختيار الجمل الاسمية بدلاً من الجمل الفعلية، فيحول الأفعال إلى أسماء، بغرض جعل الأحداث في وضع ساكن ومستقر ويترتب على ذلك إخفاء الأدوار الفاعلة، وهذا ما عبر عنه فيركلاف بإستراتيجية التحويل الاسمي: ،حيث يقول: "إن التحويل الاسمي يساهم -كما أرى- في انتشار عام لإخفاء الدور البشري ومسؤوليته" (فيركلاف، 2009م، ص34)،كما تسهم أيضاً في اختزال المعنى وفقدان زمن الحدث (فيركلاف، 2016م،ص 171).

2 - 1 - 3. اختيار الجمل الخبرية أو الإنشائية:

يتمثل الدور الإيديولوجي في استخدام الجمل الخبرية، على اعتبار أن "صاحب الخطاب مصدراً للخبر، عالماً به، مدركاً لتفاصيله وحيثياته، ويكون المخاطب متلقياً ينتظر من صاحب الخطاب أن يمده بالمعلومة الوافية" (الزليطي،2014م، ص18)، فعلى هذا الاعتبار يكون منتج الخطاب متحكماً في الموقف، ومهيمناً عليه.

2 - 1 - 4. اختيار الجملة المثبتة أو المنفية:

يعد النفي بوضوح بحسب فيركلاف الوسيلة الأساسية التي تعين الباحث على التمييز بين ما هو واقع في الحقيقة، أو غير واقع إلا أن السلطة قد تعبر بالنفي بطريقة ملتبسة لأغراض معينة، ويدلل على ذلك بعبارة: "عصابات الكونترا لم تقتل كثيراً

من الفلاحين" (فيركلاف،2017م،ينظر: ص172). فالجملة نفت القتل بعبارة أنه ليس "كثيرا" ربما لتخفيف الواقعة، أو لإضفاء نوع من الالتباس الذي يشوش على المتلقي.

وقد أشار أيضاً فان دايك (Van Dijk) إلى أن السلطة قد تعمد إلى التعبير بصيغة النفي تعبيراً عن الإيجاب، كعبارة توني بلير ((Tony Blair رئيس وزراء بريطانيا في محاولة تعزيز قضية حرب العراق بأنها "أقل مرارة، ولكنها ليست أقل خطورة" (دايك،2014م، ينظر: ص471 ـــــ472)؛ أي من النظام العراقي الديكتاتوري بحسب تعبيره.

2 - 2. على مستوى الصيغ والأدوات:

يرى فيركلاف بأن الأشكال النحوية تتولى تشفير الأحداث أو العلاقات في العالم، أو الأشياء المرتبطة بهذه الأحداث والعلاقات، كظروفها الزمانية والمكانية، وأسلوب وقوعها، وهلم جرا (فير كلاف،2017م،ينظر: ص156)، ونظراً إلى تعدد الأنماط والأشكال النحوية سنكتفي بالإشارة إلى مستويين منها:

2 - 2 - 1. الصيغ النحوية:

سنقتصر على ذكر أبرز الصيغ التي تناولها النقاد في كشف حيل السلطة، وهي كالتالي:

2 - 2 - 1 - 1. صيغة المبني للمجهول:

اختيار صيغة البناء لغير الفاعل (المبني للمجهول) أحد أبرز الحيل التي تستعين بها السلطة في إخفاء الفاعل، وتحويل جهة الخطاب من طرف محدد إلى طرف آخر غير محدد؛ كي يضفي على المتلقي نوعاً من الضبابية والغموض والإشكالية كما يظهر من خلال المثال الآتي (الزليطي، 2014م، ينظر: ص17):

المكونات	العبارة الأولى	العبارة الثانية
مقارنة بين العبارتين	جنود الاحتلال يطلقون النار على متظاهرين فلسطينيين، ويقتلون ثلاثة منهم	سقوط نشطاء فلسطينيين في أحداث عنف بالضفة الغربية
الفاعل	محدد (جنود الاحتلال)	غير محدد
الحدث	قتل ثلاثة متظاهرين	سقوط نشطاء فلسطينيين
الأسباب	متظاهرين	أحداث عنف

يتضح لنا من خلال الجدول أن الصيغة الأولى عرضت الأحداث صراحة كما هي في الواقع، وتحددت فيها الأدوار والمسؤوليات فالقاتل (القوى الفاعلة) هم جنود الاحتلال والمقتول (الضحية) هم من المتظاهرين الفلسطينيين؛ في حين أن الصيغة الثانية جاءت بناء على اختيار المبني للمجهول لأهداف محددة وهي إخفاء الفاعل، فوقع فيها إعادة إخراج للحدث، وانعكست فيها الأدوار خلافاً للواقع، فإذا بالقتل يتحول إلى سقوط، وسببه أحداث عنف، وغُيب الفاعل من المشهد تماماً، وترتب على ذلك تحول الحدث من حركة متوترة إلى وضع مستقر وساكن (الزليطي،2014م،ينظر: ص 17).

2 - 2 - 1 - 2. اختيار صيغة المضارع:

تعمد السلطة إلى اختيار الفعل المضارع في صياغتها؛ للدلالة على الاستمرارية، مما يضفي على الخطاب صفة الحقيقة المستمرة. لا سيما في صياغة الإعلانات التجارية وهو الغالب، وكذلك في الخطابات الإعلامية أو السياسية تحقيقاً لهذه الغاية.

2 - 2 - 1 - 3. اختيار صيغة الأمر:

تعمد السلطة إلى هذا الاختيار طلباً لامتثال المخاطب إلى الأمر الموجه إليه، تبعاً لأغراض متعددة، فيأتي أحياناً بغرض الاستعلاء وفرض الهيمنة والسيطرة على المتلقي،

وأحياناً أخرى بغرض استمالة المتلقي والتودد إليه لاسيما إذا كان مصحوباً برجاء كما في الإعلانات التجارية، مثل: (بادر الآن، احصل على، احجز مقعدك، أسرع،...).

2 - 2 - 2 - الأدوات النحوية:

وسنقتصر على ذكر أربعة أنواع منها:

2 - 2 - 2 - 1. استخدام الضمائر:

فمن أبرز الحيل التي تستخدمها السلطة، استعمال ضمير الجمع المتكلم (نحن) بدلاً من ضمير المتكلم المفرد (أنا) أو ضمير المخاطب (أنت)، فعندما يستعملها الصحفيون في مقالاتهم، "فإن الصحيفة تنصب نفسها لتمثيل القراء، [...] فتصبح عندها معبرة عن الكاتب والقارئ، وبهذا يغدو الخطاب خطاباً عاماً، وكأنه صَدَرَ من الجميع" (الشهري،2015م،م2ص49).

2 - 2 - 2 - 2. أدوات الوصل:

يقول فيركلاف بأن أدوات الوصل "قد تتضمن مفاتيح للافتراضات الإيديولوجية" (فير كلاف،2017م،ينظر: ص 181)، وهذا يعني أن هذه الأدوات التي تربط بين جملتين تعتمد على افتراضات مضمرة، فمن ذلك عبارة: (مع أن، بالرغم من، على الرغم، مع ذلك،...). وسنضرب مثالاً يوضح ما أشار إليه فيركلاف من أقوال الدول الأربع المقاطعة لدولة قطر سنة 2017م، تداولتها وسائل إعلامهم (قطعنا العلاقة مع السلطات القطرية بالرغم من صبرنا عشرين عاماً) فتعبير (بالرغم) هنا يشير إلى افتراض مسبق بوجود أزمة بين قطر والدول المقاطعة وأنهم قد صبروا بالفعل، والأمر على العكس من ذلك تماماً.

2 - 2 - 2 - 3. أسماء الإشارة:

تحيل أسماء الإشارة (هذا، هذه، تلك، ذلك،...) إلى افتراضات خارج النص، وقد أشرنا إلى ذلك في الحديث عن المسلمات.

2 - 2 - 2 - 4. أداة التعريف:

يرى فيركلاف أن أداة التعريف تستخدم في نطاق واسع في الإحالة على مدلولات خارج النص كالأشخاص، والأحداث، وغيرها، ولا يتضمنها النص (فيركلاف،2017م،ينظر: ص182)، وهي تفيد معان وافتراضات مضمرة، منها احتكار معلومة كقول: (أثبتت الأبحاث، نص عليه الفقهاء،..)، أو تعميمات من قبيل: (رفض الناشرون طباعة الكتاب) ونحو ذلك.

3. على مستوى الصور البلاغية:

ومن حيل السلطة توظيف المفردات لتحقيق غايات إيديولوجية معينة من خلال استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات. ويدخل في ذلك أيضاً استخدام المكونات الظرفية التشديدية مثل: "على نحو سيئ، على نحو شنيع، على نحو مخيف، وما إلى ذلك" (فير كلاف، 2009م،ص 301).

وتجدر الإشارة إلى أن الاستعارة في التحليل النقدي للخطاب؛ لا تستخدم بمعناها البلاغي عند النقاد القدماء، بل يقصد بها المعنى الحديث، وهي (الاستعارة الإدراكية) التي تهتم بالطريقة التي تصورها الاستعارة للمتلقين، وكيف يفهمونها، وكيف يتصرفون اتجاهها، وهي الدلالات التي ذهب إليها الباحثان: جورج لايكوف "George Lakoff"، ومارك جونسن "Mark Johnson"، في كتابهما الموسوم بـ "الاستعارات التي نحيا بها" حيث عرفاها بأنها: "الكيفية التي يفهم بها الناس التصورات العادية من خلال استعارات نسقية، [...] وننظر إلى اللغة باعتبارها مصدراً للمعطيات التي يمكن أن تقود إلى مبادئ عامة بصدد الفهم" (لايكوف ، جونسن،2009م،ص 127 – 128).

فهي إذن، استعارات إدراكية تعكس تصورات معينة عن الواقع، وترتبط بالمفاهيم، وليست تلك الاستعارات التي ترتبط بالصور البيانية، والزخرفة الكلامية، لتنتج معنى جميلاً، إنما هي سيرورة حتمية للأفكار والمفاهيم التي تعكس إيديولوجيات السلطة.

ومن الأمثلة على ذلك ما أشار إليه أحد الباحثين في دراسة له بعنوان: "التحليل النقدي الجديد للاستعارة"؛ فقد أورد عنواناً من جريدة نيويورك تايمز الأمريكية ما

نصه: [آلاف من المهاجرين يُغرِقُون النمسا] فالاستعارة هنا صورت مفهوم الهجرة على أنه سيل عرمرم يهدد النمسا بالغرق، ومفاده خطورة هذه الهجرة على البلدان الأوربية، فَوَصْفُ حركة المهاجرين هنا على أنها إغراق للنمسا يعكس إيديولوجية عنصرية، فاستعمال الكلمة (تُغرق) كان مقصودا، والغاية من ذلك أن تصور للمتلقي أو القارئ أن النمسا معرضة لخطر الغرق، وأن المهاجرين هم أعداء جاؤوا بغرض الإهلاك، والحال أنهم جاؤوا لطلب تحسين المعيشة أو هروباً من الحرب، وبناء عليه ستبرر هذه الاستعارة أي قرارات سياسية تتخذها السلطات للحد من الهجرة، أو القيام بتقييدها، إضافة إلى ذلك أن المبالغة تعد أداة بلاغية تعزز المعنى (بكار، ص 63 – 65).

وأخيراً؛ على المحلل أن يستكشف كل الأدوات "التي تحاول التعمية والإخفاء أو تطبيع المنطلقات والخلفيات والافتراضات الأيديولوجية الخاصة" (الشمري،المحمود،2015م،ص 207)، سواء عبر إظهارها بمظهر المسلمات أو مظاهر أخرى وأن يستكشف كل الطرق والأساليب المستخدمة في الخطاب من أجل تحقيق مصالحها وغاياتها.

الخاتمة

حاولنا في هذه الدراسة أن نوضح بعض الأدوات الإستراتيجيات التي تستخدمها السلطة في خطاباتها لتمرير إيديولوجياتها ورسائلها للمخاطَب، وتعرفنا على سماتها اللغوية، وقد خلصنا إلى عدة نتائج وتوصيات، نعرضها على النحو الآتي:

1. يركز التحليل النقدي للخطاب على عنصرين أساسين؛ فأما الأول فهو الاهتمام بالقضايا السياسية والاجتماعية، وكيف تعمل السلطة والإيديولوجيا في سياقهما، وأما الثاني فهو الاهتمام بالكيفية التي توظف بها اللغة لتحقيق مصالح السلطة، فالخيارات اللغوية واسعة جداً وعلى الناقد أن يميز بينها ويكشف عن التلاعب والحيل والإيديولوجيات المتضمنة في الخطابات، وكيف يتشكل الخطاب من خلال مظاهر الاستعمال اللغوي ويعكس التوجهات السياسية والإيديولوجية، وهو بذلك يقوم بعمل أخلاقي من خلال تبصرة المتلقين بالعلاقة المتبادلة بين البنى

اللغوية والبنى الاجتماعية.

2. تعتبر الأدوات الإستراتيجية التي قدمناها إحدى طرق تحليل الخطابات الإعلامية أو السياسية تحليلاً نقدياً، حاولنا من خلالها المساهمة في إثراء التحليل النقدي للخطاب بما يكفل لها الخصوصية العربية، وتكوين مادة أولى تكون منطلقاً للباحثين من بعدنا في التحليل النقدي للخطاب.

وبناء على أسلفناه؛ فإننا نتطلع من خلال هذه الدراسة إلى أن توسع دائرة الآفاق والمعرفة حول التحليل النقدي للخطاب؛ من خلال بحوث مستقبلية ومن أهم ما نوصي به في هذا السياق:

أن التحليل النقدي للخطاب بحاجة إلى تحديث إستراتيجياته بشكل مستمر؛ نظراً إلى أن إستراتيجيات السلطة تتوالد ولا تتوقف عن اتخاذ الحيل للسيطرة على العقول، وما كتبه الرواد والباحثون من إستراتيجيات لا تكفي، بل قد تكون تلك الاستراتيجيات نواة أولى توقف الباحثون عندها مع الأخذ بعين الاعتبار أن كثيراً منها وُضعت لأغراض تداولية، لكننا استفدنا منها في التحليل النقدي للخطاب، ولم نجد حتى الآن من حاول أن يستقصي تلك الإستراتيجيات ويضع لها معجماً، ونرجو أن تكون هذه الدراسة نواة لإخراج معجم لإستراتيجيات السلطة يكون مشفوعاً بالأمثلة، أسوة بالمعارف الأخرى كمعاجم الأسلوبيات، والتداوليات، واللسانيات، وتحليل الخطاب، ومعاجم النحو..، ويمكن أن نطلق عليه "معجم الألفاظ والعبارات في تحليل الخطابات، من منظور التحليل النقدي للخطاب". مما يعني أنّ هذه الدّراسة التي قمنا بها مازالت ترجو مزيدًا من الجهد لتلحق بتلك الآفاق المعرفية المتسعة.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع:

1. الباجي، سليمان بن خلف القرطبي الأندلسي، الحدود في الأصول، تحقيق: محمد حسن محمد اسماعيل، (بيروت: دار المكتبة العلمية، ط1، 2003م.

2. التهانوي، محمد بن علي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحدوح، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.

3. جواد، عبد الستار. اللغة الإعلامية دراسة في صناعة النصوص الإعلامية وتحليلها، عمّان: منشورات دار الهلال للترجمة، ط2، 1998م.

4. دايك، فان. الخطاب والسلطة، ترجمة: غيداء العلي، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2014م.

5. الشهري، عبد الهادي ظافر. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عمّان: دار كنوز المعرفة، ط1، 2015م.

6. فيركلاف، نورمان. اللغة والسلطة، ترجمة: محمد عناني، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2016م.

7. فيركلاف، نورمان. تحليل الخطاب التحليل النصي في الخطاب الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009م.

8. فيركلاو، إيزابيلا. وفيركلاو، نورمان. تحليل الخطاب السياسي، ترجمة: عبد الفتاح عمورة، دمشق: دار الفرقد، ط1، 2016م.

9. لايكوف، جورج. وجونسن، مارك. الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط2، 2009م.

10. يعقوب، طالب. تقنيات الإعلام، سوريا: دار صفحات، ط2، 2014م.

11. يونس، رامي عزمي عبد الرحمن، تحليل لغة الخبر السياسي في الخطاب الإعلامي المكتوب، الأردن: دار المعتز للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.

المجلات العلمية:

1. إسماعيلي، حافظ. وأسيداه، محمد. "الإراغة في التواصل السياسي: آليات الحوار وإستراتيجية الحجاج والمغالطة"، مجلة علامات، المغرب: ع.27، 2007م، ص ص141 – 136.

2. بكار، سعيد "التحليل النقدي الجديد للاستعارة"، مجلة الخطاب، الجزائر: ع.23، ص ص53 – 74.

3. الزليطني، محمد لطفي. "من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب"، مجلة الخطاب، الجزائر، ع.17، 2014م، ص ص9 – 36.

4. الشمري، عقيل حامد الزماي. والمحمود، محمود عبد الله. "التحليل النقدي بالاعتماد على المدونات اللغوية أخبار حرب غزة نموذجاً"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر: ع.33، 2015م، ص ص305 – 263.

5. عبد اللطيف، عماد. "بيان التنحي وذاكرة الهزيمة مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي"، مجلة ألف، القاهرة: ع.20، 2010م، ص ص146 – 175.

الصحف والجرائد:

1. "الملايين يخرجون تأييداً لمبارك مظاهرة مليونية في حب الرئيس"، جريدة الأهرام المصرية، القاهرة: ع.45349، الخميس 3 فبراير 2011م.

2. "بعد 3 أسابيع الجبير لا يعلم أهي مطالب أم شكاوى"، جريدة الشرق، قطر: ع.10593، السبت 17يونيو2017م.

المواقع الالكترونية:

1. "البيان الرباعي المشترك بشأن قوائم الإرهاب الموجه لدولة قطر"، موقع وكالة الأنباء السعودية واس، في: https: / / www.spa.gov.sa / 1638577